منارة عدن " دراسة أثرية معمارية"

د. علي سعيد سيف
جامعة صنعاء كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الآثار

ملخص

الموقع: تقع منارة عدن في وسط مدينة عدن (كريتر) قبالة ميدان كرة الطائرة بمحاذاة مبنى البريد العام، و تعد منارة عدن أحد أهم المعالم الأثرية والتاريخية والسياحية، وذلك لما تمتعت به هذه المنارة من موقع استراتيجي أضفى عليها مكانة خاصة وجمالا أخاذا وما اتصفت به من شكل أهلها إلى أن تتعدد الروايات التاريخية وتباينها حولها وما اشتملت عليه من عناصر معمارية وفنية ، جعلت الباحث يختارها موضوعاً لبحثه للمشاركة به في الندوة العلمية الدولية عدن ثغر اليمن " أثار ومعالم عدن " وذلك لكي يميط اللثام عن ذلك اللبس بما سوف يستنتجه من خلال تحليل الروايات التاريخية والعناصر المعمارية والفنية التي تزدان بها هذه المنارة ومقارنتها بمثيلاتها .

ولإتمام ذلك سوف تتم الدراسة من خلال

أولاً : أهمية موقعها

ثانياً : تتبع الروايات التاريخية التي دارت حولها

ثالثاً : الدراسة الوصفية المعمارية والفنية

ثم خاتمة تتضمن ما توصل إليه الباحث من نتائج مرفقا صور المئذنة القديمة منها والحديثة وقائمة بأهم بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

كلمات مفتاحية: مدينة عدن، الجامع، المنارة، الروايات التاريخية.

1- الموقع :

تقع مدينة عدن على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب ، في أقصى جنوب اليمن مطلة على البحر العربي وخليج عدن (شكل رقم 1) ، على خط عرض 12 47 شمالا وطول 44 57 شرقا وهذا الموقع أهلها إلى أن تتصل بطرق التجارة العلمية الواصلة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، الأمر الذي كان له الأثر البارز في حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية[1]، وقد هيأ الله لها هذا الموقع لتكون مدينة تجارية تنمو وتزدهر، كما أن الله سبحانه وتعالى جعل من تضاريسها ما يوفر لها الأمن والحماية وللسفن التي ترسوا في مينائها ، وقد اتخذت مدينة عدن الشكل البيضاوي المكون من الكتل الصخرية التي نشأت بسبب البركان، الذي أحدث الشكل البيضاوي ، الذي اتخذ شكل حدوة الفرس ، وفيه أقيمت مدينة عدن التي سميت بكريتر ، التي تحيطها سلسة من الجبال من جهات ثلاث هي الشمالية والجنوبية والغربية، تبدأ من الجنوب من جبل النوبة، المقابل لجزيرة صيرة ويليه جبل المنظر ويفصل بينهما حقات المطل على خليج حقات ، ومن الجهة الشمالية جبل شمسان الذي يبدأ من الجهة الشرقية وينتهي من الجهة الشمالية الغربية بجبل التعكر، أو ما يعرف بالخساف ، ويليه من الجهة الشمالية الشرقية للمدينة جبل الخضراء أوما يعرف بالمنصوري،[2].

وبما أن مدينة عدن قد احتلت هذا الموقع الجغرافي المهم في الجزيرة العربية واليمن فإن لاسمها مكان أكثر أهمية من حيث اللفظ فقد نعت بها جنة وهي حنة عدن وتعني الإقامة فقد وردت أحد عشر مرة في القرآن الكريم وكلها جاءت بمعنى الإقامة ومنها قول الله تعالى: "وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن" ومعنى ذلك إقامة (ورضوان من الله أكبر) [3] لذا تعني تسميتها بهذا الاسم أن موقعها الأمن المحاط بالجبال من الجهات الثلاث ثم البحر والبر في الجهة الرابعة مهيأ للإقامة فيه ، ففي الإصحاح السابع والعشرين من كتاب حزقيال ذكر عدن مقروناً بأهمية موقعها التجاري [4] بينما يذكر صاحب الطواف حول البحر الإريتري موقعا شرق باب المندب في خليج عدن صالح كمرسى للسفن [5] ، وأشار إليها بطليموس بأنها فرضة لبلاد العرب إلى جانب ذكرها في النقوش اليمنية واليونانية وذكرها في القواميس والمعاجم العربية التي كلها تعني الإقامة [6] وهذا ما أشار اليه محيريز بعد أن تحقق من الاسم والمكان وذلك " بوضع فرضية لتمحيص المقصود بعدن ، فهي صفة لموقع إقامة يتميز بأنه منتجع في سفح جبل "[7]، وعزاها بعضهم إلى العدون التي تعني الإقامة، وذلك لأن تبعاً كان يحبس بها أصحاب الجرائم [8].

إلى جانب ذلك اختلف الإخباريون عن نسبة المدينة فمنهم من نسبها إلى عدن بن عدنان [9]، بينما ينسبها ابن المجاور مرة إلى رجل اسمه عدن كان أول من حبس بها ومرة أخرى إلى عدنان وأنه اسماها باسم ابنه [10]، بينما نجد أن الهمداني يعطيها اسما مغايرا لكلمة عدن وهو مقط التراب وأنه أحد أسماء مدينة عدن القديمة [11].

من خلال ما سبق يتبين أن موقع مدينة عدن كان محط أنظار العالم القديم فقد أشار إلى هذا الموقع كثير من الإخباريين والرحالة وقد وصفوا موقعها وأثنوا عليه وبخاصة ما يحمل من تحصينات طبيعية أهلها للقيام بدورها كمدينة وميناء .

ومدينة عدن الحالية لا تقوم على أنقاض المدينة القديمة فحسب بل تتعداها إلى كثير من لمناطق المجاورة لها ، فقد أثبتت الحفريات في أرض الواجهة البحرية من المدينة أن هذه الأرض كانت أنقاضاً لمبان قديمة ، يبرز منها مسجدان متصدعان ، وعدد من المنازل المخربة فسويت تلك الأرض عندما دخل الكابتن البريطاني هينس عدن سنة 1839م [12] وعلى ذلك فمدينة عدن القديمة تكون واقعة في المنطقة بين الزاوية البحرية من أرض فوهة البركان و وادي الطويلة شمالا وجبل حقات جنوبا ، وكان من الطبيعي أيضا أن تتحدد عمارة المدينة بهذه الزاوية فهي تطل على الخليج الذي استمدت منه المدينة نشاطها وازدهارها ميناءً للتجارة العلمية [13] ولذا أقيم المسجد الجامع لمدينة عدن مطلا على الساحل.

2- **موقع المنارة والمسجد :**

نتيجة للاختلافات التي دارت حول منارة عدن ومسجدها ، ومتى بنيت؟ وبني مسجدها؟ يمكن من خلال دراسة المصادر التاريخية التي ذكرت المنارة ومسجدها وأين حددت ذلك المسجد؟ فإن عرض ما ورد في المصدر يمكن أن نخلص إلى حقيقة ذلك .

يذكر ابن المجاور أن الذي بنى الجامع في عدن الفرس وذلك في طرف البلد ، فان قال قائل: لم لا بني في وسط البلد؟ قلت: لأن في وسط مدينة عدن عين ماء ماد من البحر إلى المملاح، و لنا على قولنا دليل إنّ من بقايا العين موضع الملح الذي يجمد فيه الملح

بالمملاح.[14] بينما يشير المقدسي إلى أن لهم جامعاً نائياً عن الأسواق ويقع على الساحل [15] وأورد هارولدف يعقوب ، نقلا عن أبي الفداء بأن جامع أو مسجدا كبيرا كان يرتفع على شاطئ البحر [16] ، كما يذكر با مخرمه في موضع أخر أثناء معرض حديثه عن آبار مدينة عدن أنه كان هناك بئر عند الجامع،[17] بينما يشير هينس عند حديثه عن مدينة عدن في التقرير الذي رفعه إلى الحكومة البريطانية أثناء استيلائه عليه إلى عدد من المساجد كانت مخربة ومبعثرة فوق سهل كريتر، منها أربعة مساجد رئيسة هي مسجد العيدروس وجامع العلوي ومسجد الحمال ومسجد السوق ، مسجدين فقط كانتا قيد الاستعمال ، هما العيدروس والعلوي ، وقد أكد لي واحد من أقدم سكان عدن وأكبرهم سنا وهو السيد علي باطير زعيم جماعة الصيادين بأنه عندما حصل الاستيلاء على عدن كان يرتفع فيها مسجد كبير وعظيم وأن ذلك المسجد كان مواجها للبحر ، وأنا أعتقد أن هذا هو المسجد المتهدم حاليا الذي بقيت منه مئذنته فقط وما زالت معالمه واضحة بالقرب من بيت مال الدولة أو الخزانة، وكان هذا المكان يومئذ حافة البحر[18]، ومن خلال الإشارات السابقة تبين أنه كان هناك جامع يقع على حافة البحر، وهذا الجامع الذي أشار إليه المؤرخون من المرجح أن يكون الجامع الذي بناه الخليفة عمر بن عبد العزيز .

وأما بالنسبة إلى موقع المنارة حاليا فإنها تقع بالقرب من مبنى البريد العام في الجهة الجنوبية منه قبالة ملعب كرة الطائرة ، طرف حديقة صغيرة [19] (شكل رقم 2) وهي تبتعد حاليا عن البحر بنحو 540م بينما تبتعد عن المتحف الوطني بنحو 445م ، وقد أشار الكابتن أ ف أ م في تقريره عن مستعمرة عدن هنس إلى موقع المنارة، إذ قال إن لمنارة القائمة اليوم بالقرب من دار المحكمة والخزانة هو الأثر الوحيد الباقي من مسجد كبير متهدم [20] وبعد عمليات الردم في البحر ابتعد موقع المنارة إلى الحد الذي تقع عليه اليوم ، وهي بذلك تتطابق وما ورد من تحديد لموقع المنارة والجامع لدى المؤرخين .

3- **الروايات التاريخية :**

عندما تعدد الروايات التاريخية في أثر تاريخي يدل على مدى ما كان يحتل هذا الأثر من مكانة في قلوب أهل المدينة ، ولذلك فعندما كان يفد إلى هذه المدينة المؤرخون والرحالة فإن أبناؤها يتحدثون عن مفاخرهم في البناء، وكيف تم البناء ومن هذه المفاخر مبنى جامع عدن، وبخاصة من ذلك ما بقي من هذا الجامع منارته التي مازالت شامخة مع عوادي الزمن ومع ما تتميز به هذه المدينة من رطوبة عالية، أضف إلى ذلك وقوعها قرب البحر بل وكما عرفنا أن الجامع كان يقع على حافة البحر، بينما يذكر بعض المؤرخين أن أمواج البحر كانت تصل إلى جداره، وهذه الروايات سوف تقربنا من حقيقة بناء الجامع ومتى تم بناؤه؟

يقول عمارة في كتابه المفيد في أخبار صنعاء وزبيد عند حديثه عن أعمال الأمير الحسين بن سلامة مولى بني زياد ، "أنه أنشأ الجوامع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة حرسها الله ، ومن ذلك ما رأيته عامرا ومستهدما، ومنها ما رواه الناس رواية إجماع فأوله شبام وتريم مدينتا حضرموت ، اتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن، والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة جامع ومئذنة ، فأما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبد العزيز وجدده حسين بن سلامة" [21].

ومن خلال ما ورد في نص عمارة الذي يذكر فيها أنه رأى بعض الجوامع والبعض الأخر نقله عن إجماع ، وهذا يدل دلالة واضحة بأنه كان هناك جامع رآه عمارة أو روي له عنه، والسبب الثاني أن معظم ما ذكر من المساجد التي جددها الحسين بن سلامة صحيحة وموجود على أرض الواقع فعلى سبيل المثال التي شاهدها عمارة مثل جامع الجوة الذي يقول عنه عمارة فرأيت فيها جامع الجوة وهو كبير رأيته عامرا بعمارة الحسين بن سلامة ومثل آخر ورأيت جامع الجند وهو جامع مثل جامع أحمد بن طولون ، وجامع ذي أشرق وجامع صنعاء [22]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن جامع عدن كان مبني قبل الحسين بن سلامة وجدده الحسين.

بينما يشير بامخرمة نقلا عن ابن المجاور أن جامع عدن بناه عمر بن عبد العزيز، و جدده الحسين بن سلامة، و الأصح أنّ ما بنى الجامع إلا الفرس. و كان السبب في بنائه انهم وجدوا في زمانهم قطعة عنبر كبيرة مليحة فأتى بها إلى صاحب عدن فقال لهم: و ما اصنع بها؟ بيعوها و ابنوا بثمنها جامعا فلست أرى درهما أحل من هذا الدرهم و لا يخرج في وجه أحق من هذا الوجه. فباعوا العنبر وأخذوا ثمنه فبنوا به جامع[23].

ومما يعضد رواية عمارة ما أورده ابن المجاور من أن الفرس هم الذين بنو الجامع ، وهذا يزيد من قوة رواية عمارة، إذ والمعروف أن الأبناء (الفرس) كانوا حكاما لمدينتي صنعاء وعدن أثناء ظهور الإسلام، واستمروا في الحكم فقد عين النبي صلى الله عليه وسلم باذان حاكما على صنعاء ، وفي هذه الحالة فلابد أن تكون عدن تابعة لهم وذلك بسبب أنها الميناء ، وما جعل الفرس يأتون إلى اليمن إلا بسبب موقعها لجغرافي وميناؤها عدن ، ولقد استمر الفرس ضمن المجتمع اليمني واندمجوا مع أهلها مسلمين فكانوا لابد من أن يكون لهم جامع ، فقد تبرع باذان ببستانه لبناء مسجد في صنعاء فلا بد لهم من مسجد في عدن ومن ثم فإن الروايتين قريبتان من بعضهما وكل رواية تسند الأخرى وتقويه في أن جامع عدن يعود في تاريخه إلى القرن الأول الهجري، وأما ما ورد عن العنبر فيورد ابن المجاور دليلا على مدى أهمية العنبر، قال ابن المجاور: ورأيت وراء حمام المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي إنّ سيلا عظيما غسل أرض الوادي فظهر به مدابغ جملة من أيام الفرس قد علت عليها الأرض من طول المدى. و حدثني ريحان مولى علي بن مسعود بن علي قال: إنّه ظهر عند حبس الدم بقرب جبل حقات حمام كبير عظيم ذو طول و عرض و قد كانت علت عليه الأرض من بناء العجم. و كانت الناس في أيام دولة العجم يجدون العنبر الكثير إلى باب المندب وكان الصيادون يجدونه فإذا مر بهم مركب أو تاجر يقولون له: تشتري منا حشيش البحر؟ يعنون به العنبر. و يقال إنّ الشيخ شبير الصياد و جد قطعة عنبر و لم يعرف ما هي فجاء بها إلى بيته فعازه الحطب فأوقدها تحت القدر عوض الحطب، فعلم به الناس فعرف الشيخ بوقاد العنبر. وقد انقطع جميع ذلك في زماننا هذا من سوء ظننا وقبح فعالنا.[24] ، ويذكر الجندي أن من مآثر المكرم عمران بن محمد بن سبأ الباقية في عدن المنبر المنصوب في جامعها ، واسمه مكتوب عليه[25]، ويورد هارلدوف يعقوب خبراً عن أبي الفداء أن جامعاً أو مسجداً كبيراً قد تم بناؤه في وقت ما قبل سنة 718م 99هـ وفي عهد أحد خلفاء بني أمية (عمر بن عبد العزيز)وبأن ذلك الجامع كان يرتفع عاليا على شاطئ البحر[26]، ويشير هنس أن الجامع بني في عصر بني رسول، إذ يذكر أن أميرة من بني رسول بنته وذلك في الفترة ما بين 800 ـ 1000هـ / 1397ـ 1597م ، ووصفه بأنه كان واسع الأرجاء [27].

كما نجد خبراً مفاده أن السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب الطاهري، بنى مسجداً في مدينة عدن وآخر بالمبأة بظاهر باب البر منها [28]، ويورد المرحوم حمزة علي لقمان رأي نقله عن أحد الأوربيين أن منارة عدن تختلف في شكلها عن منارات المساجد فلا يوجد في طابقها الأعلى شرفة يقف عليه المؤذن لينادي للصلاة ، كما لا يوجد باب في ذلك الطابق يؤدي إلى الشرفة، إضافة إلى ذلك أن الواحد إذا صعد إلى أعلى طابق في المنارة فإنه لا يستطيع أن يقف إلا منحنيا، . وهذا الكلام غير صحيح فإن المنارة من المؤكد أنه كان لها شرفة يقف عليها المؤذن وسقطت هذه الشرفة كما يشاهد من خلال الصورة التي رسمها الضابط البرتغالي . (لوحة رقم 1)، ويؤكد الأوربي أن المنارة ما هي إلا فنارٌ [29]، ومن المعروف أن ساحل صيرة كان ميناء عدن القديم، وأن المنارة تقع خلف الميناء، وليس من المعقول أن يكون الفنار خلف الميناء[30]، فكيف يستدل ربان السفينة على الميناء، وربما أن البقعة الصالحة للفنار هي جبل صيرة أو جبل المنظر، [31] (لوحة رقم 2)

4- **تجديدات الجامع :**

ذكر بعض المؤرخين أنه حصل لجامع عدن بعض التجديدات التي أجريت للجامع منها ما ورد على لسان عمارة من أن الحسين بن سلامة جدد جامع عدن و زاد فيه جناحين من جهة الغرب [32] بينما يشير الجندي إلى أن من مآثر المكرم عمران بن محمد بن سبأ الباقية في عدن المنبر المنصوب في جامعها، واسمه مكتوب عليه، وهو منبر له حلاوة في النفس وطلاوة في العين[33]، وهناك رأي آخر يقول إن الذي نصب المنبر هو الملك المجاهد علي بن داوود الرسولي وأن الكتابة الموجودة عليه كانت بالعاج، ويحتمل أيضا أن يكون الذي نصب المنبر هو عمران بن محمد وأن الملك المجاهد أمر بإصلاحه وتجديده فقط [34] .

هذا ويذكر ابن الديبع بأن السلطان الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل أمر بعمل منارتين إحداها بدرجتين ، عند باب عدن البحري، ومثلها بمدينة زبيد وليس في اليمن نظير لهاتين المنارتين إلا بصنعاء كما قيل[35].

5- **التجديدات الحديثة للمنارة :**

تعرضت المنارة للإهمال وخاصة بعد أن تهدم الجامع أو خرب بفعل القاذفات البريطانية أثناء الاحتلال، إذ يذكر هينس أنه كان هناك مساجد أربعة منها اثنان قيد الاستخدام واثنان منها متهدمان، ومن خلال الصور يتضح أن أحدهما جامع عدن (لوحة رقم3)، وكان أول تجديد لها في أول الخمسينات من القرن الماضي ، وهو تاريخ ورد في جريدة فتاة الجزيرة .

إلا أنه يمكن القول أن أول زيارة علمية للمنارة قام بها العلم السوفيتي (سيرجي سيرنشكي) في مارس من عام 1972م الذي أشار في تقريره على أن المنارة من أثمن معالم عدن الذي يذكر تأكيداً لما سبق أنها لجامع عظيم شيد في القرن الثامن الميلادي ، [36] وأشار روزاريو باوني ، أثناء قيامه بزيارة للمنارة في 1992/11/7م ، أن المنارة كانت مرتبطة بمسجد قديم اندثر[37]، وأن مظهرها الخارجي قد تبدل بفعل عوامل الزمن، وأن دراستها الأولية قد أظهرت أن زخارفها المزينة لجدرانها ترجع إلى القرن السادس عشر الميلادي، وهذا النوع من الزخارف يتبع النمط السلجوقي، وذلك بسبب مكوث الأتراك العثمانيين في عدن وأوصى بإجراء حفرية أثريه سريعة "وهذا يوحي بأن العثمانيين قد جددوا المنارة ولكن ليس هناك دليل"[38] ثم أجريت دراسة في أواخر السبعينات من القرن الماضي قامت بها بعثة اليونسكو برئاسة (رونالد ليكوك) وفيها أشار إلى الشقوق التي أصابت المنارة وأوصت

بالقيام بترميم، شامل للموقع ، وعلى أن تستخدم المواد المحلية ، كالحجر البركاني الهش والبوميس والجبس والنورة ، وبدأت وزارة الإنشاءات بمباشرة الترميم في 19/ 3 /1983م وذلك بإشراف المركز اليمني للأبحاث الثقافية، إلا أنه بعد فترة بسيطة برزت بعض التغييرات في جسم المنارة ، وذلك بسبب تعرضها للرطوبة [39]، ولهذا السبب أوفد المعهد الألماني للآثار بصنعاء سنة 1992م العالم روزاريو باوني ، للقيام بزيارة للمنارة ، وقد باشر زيارته في 1992/11/7م ، وأشار أن من مميزاته الجيومترية الأساسية هي بناء هرمي الشكل يرتكز على قاعدة مثمنة تستدق كلما اتجهنا إلى الأعلى، وأنه توجد عند قاعدة المنارة بناء حجري مربع الشكل أقيم حول البناء الأصلي لتدعيم المنارة وتوطيدها، وخاصة بعد الميل الحادث للمنارة، الذي من الممكن مشاهدته بشكل ملحوظ . والموضح من خلال المخططات المرفقة . الذي يصل إلى 60 ،0 ، ويتطابق مع الانحراف الرأسي القائم بنحو 2 درجتين، (شكل رقم 3) وهذا الميل نجده يتكرر كثيرا في المباني القديمة ولا يشكل قلقا في استقرارها وذلك إذا لم تظهر تشققات في هيكل المبنى، وما هو موجود من تشققات هي في القاعدة المبنية حديثا . التي ربما تعود إلى الأربعينات أو بداية الخمسينات . وتقع في الجهة الجنوبية منها ويمكن مشاهدة شق كبير متعرج في جزئها العلوي ينزل من الأعلى حتى يقترب من الزاوية الجنوبية الغربية، إضافة إلى شقوق أخرى تظهر في نطاق ضيق ، ولكن استمرار هذه التشققات سوف يؤدي إلى انهيار المنارة.

6- **الوصف المعماري للمنارة :**

تعد المنارة من العناصر المعمارية الملحقة بالمسجد ، وقد دارت حول نشأتها كثير من الآراء، وتتكون المنارة من قاعدة، وبدن، وطاقية (خوذة):

1.6- **القاعدة :**

اتخذت القاعدة شكل بناء المنارة المثمن بطول ضلع 4،45م يفتح فجدارها الشمالي مدخل مستطيل الشكل ارتفاعه 1،20م وسعة فتحته تبلغ نحو 90،م (شكل رقم 4) يعقد عليه عتب من الحجر وهو خال من الزخرفة ، ويغلق عليه باب خشبي مكون من مصراع واحد طعم بالنحاس ، وهذا النوع من قواعد المنارات نجده قد انتشر بشكل كبير في شمال العراق ، فقد مثلته مئذنة سنجار التي تعود في تاريخها إلى سنة 559هـ / 1163م[40] وهي تتشابه وقاعدة منارة عدن وكذلك تتشابه في البدن المثمن ، كما أنه يوجد بعض الشبه في تزيين أضلاع المثمن بزخرفة الحنايا سواء المصمتة أو النافذة (لوحة رقم 4) ومن خلال ذلك التشابه يمكن أن نقترب من تاريخ بناء منارة عدن الذي يمكن أن ترجع إلى قبل هذا التاريخ ، كما يوجد لها بعض أوجه الشبه مع مآذن كلا من أربيل وداقوق ، إضافة إلى أن جميع مساجد هذه المآذن قد سقطت ولا يعرف تاريخها .

ويتم الصعود إلى مدخل المنارة بواسطة سلم صاعد ارتفاعه نحو 2م ويتكون من ست درجات متوسط ارتفاع الدرجة نحو 30 سم ، وقد أحيط البناء الأصلي للمنارة بقاعدة مربعة الشكل طولا ضلعها 6،70 م وترتفع عن الأرض بنحو 1م تقريبا نفذ بناؤها من الحجر البركاني المهندم و يتوجها سور من الأسمنت المسلح ، الذي يصل ارتفاعه إلى نحو 1،55م ويصل ارتفاعها الكلي إلى نحو 2،55م وهي قاعدة مصمته بنيت لتقوية المنارة (لوحة رقم 5)

2.6- **البدن : (لوحة رقم 6 شكل رقم 5)**

عمد المعمار إلى تقسيم بدن المنارة إلى ستة أقسام بواسطة إفريز من الجص بارز يكون كورنيش لكل قسم وقد اتخذ هذا البدن الشكل المثمن بارتفاع يصل إلى نحو 21م وهو على النحو الآتي

القسم الأول: يعد هذا القسم أكبر الأقسام ارتفاعاً وأكثرها سعة، إذ يصل ارتفاعه إلى نحو4.5م وقطره نحو 4.60م زينت أضلاعه بحنايا غائرة اتخذت الشكل المستطيل ينتهي من الأعلى بعقد ثلاثي الفصوص ، القريب الشبة من الأشكال القندلية، إلى جانب أن المعمار فتح في بعضها نوافذ للإضاءة والتهوية اتخذت الشكل المستطيل ذا العقد المدبب.

القسم الثاني: يقوم فوق القسم الأول وهو أصغر منه، إذ يصل ارتفاعه إلى نحو 2م، وقطره نحو 35، 4م زين بحنايا غائرة مصمته اتخذت الشكل المستطيل وتوجت بعقد نصف دائري.

القسم الثالث: يرتكز فوق القسم الثاني وهو أقل سعة من السابق فيصل ارتفاعه إلى نحو 2،10م وقطره نحو 4،10م زخرفت أضلاعه بحنايا غائرة مستطيلة الشكل ذات عقود نصف دائرية زينت بزخارف هندسية بارزة قوامها إشكال معينات ومربعات ومثلثات ، وفتح في بعضها نوافذ مستطيلة الشكل للإضاءة والتهوية. ومن خلال الصورة التي رسمها الضبط البرتغالي أثناء الغزو يتبين لنا أن هناك تطابقاً بين ما هو قائم حاليا من المنارة وما رسمه الضابط في سنة 1513م مما يدل على أن المنارة احتفظت بالكثير من عناصرها المعمارية على الأقل خلال خمسة قرون وأن المنارة كان يزين أضلاعها حنايا غائرة زينت هذه الحنايا بزخارف هندسية بارزة، وهو ما يتشابه والزخارف الباقية على المنارة في القسم الثالث من البدن.

القسم الرابع: يقوم فوق القسم الثالث ، وبارتفاع يصل إلى 2،30م وبقطر 4م زينت أضلاعه بحنايا غائرة مصمتة ذات شكل مستطيل ينتهي من الأعلى بعقد ثلاثي الفصوص، يتشابه وحنايا القسم الأول.

القسم الخامس: يقوم هذا القسم فوق الرابع وبارتفاع يصل إلى 2،30م وقطر 3،5م، زينت أضلاعه بحنايا غائرة زينت بما يشبه المراوح ، وفتح في بعض أضلاعه نوافذ للإضاءة والتهوية وهي اتخذت الشكل المستطيل المعقود بعقد مدبب ، ويلاحظ أن أركان الأضلاع قد اتخذت شكل الأعمدة المندمجة المتوجة بتيجان بارزة يرتكز عليها كورنيش القسم .

القسم السادس: يعد هذا القسم آخر الأقسام البنائية في بدن المنارة، وهو بارتفاع يصل إلى نحو 2،5م وبقطر3،45م زينت أضلاعه بحنايا مستطيلة الشكل بعضها حنيتن وبعضها الآخر حنية واحد بالتبادل، وزينت أركانه بأعمدة مندمجة ذات تيجان جصية يقوم عليه كورنيش الطاقية .

3.6- **الطاقية : لوحة رقم 7**

يتوج المنارة طاقية (خوذة) قبة ذات قطاع مدبب ارتفاعها نحو 2،30م وقطرها عند قاعدتها 3،45م تستدق كلما اتجهنا إلى الأعلى وقد زين سمتها بوريد نباتية مقلوبة، ويحيطها شرفات مثلثة الشكل، ويعلوها ميل معدني مكون من كرات وهلال .

وللمنارة قطب داخلي اسطواني الشكل يدور حوله سلم صاعد يحمل الدرج عددها 86درجة بواسطة خشب تصل بين جسم المنارة والقطب ، وتصل فسحته نحو 85، م، ويمكن القول أن المعمار قد أجاد نسب التوازن المعماري من حيث الارتفاع، إضافة إلى أنه قد أغرم

بتزيين المنارة بالحنايا الغائرة والزخرفة الهندسية ، ويلاحظ الميل الواضح للمنارة مما تحتاج إلى صيانة دورية .

7- **الخاتمة والاستنتاجات :**

ويمكن أن نستدل على تاريخ الجامع والمنارة من خلال الروايات التاريخية والحفريات التي أجريت في المنطقة التي يمكن أن تقربنا من الحقيقة، وهي:

1.7- **من خلال الروايات التاريخية:**

- من خلال ما ورد في نص عمارة الذي يذكر فيها أنه رأى بعض الجوامع وبعضها الآخر نقله عن إجماع، وهذا يدل دلالة واضحة بأنه كان هناك جامع رآه عمارة أو روي له عنه.

- معظم ما ذكره عمارة من المساجد التي جددها الحسين بن سلامة صحيحة وموجودة على أرض الواقع فعلى سبيل المثال التي شاهدها عمارة مثل جامع الجوة الذي يقول عنه عمارة فرأيت فيها جامع الجوة وهو كبير رأيته عامراً بعمارة الحسين بن سلامة ومثل آخر ورأيت جامع الجند وهو جامع مثل جامع أحمد بن طولون، وجامع ذي أشرق وجامع صنعاء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن جامع عدن كان مبنياً قبل الحسين بن سلامة وجدده الحسين.

- ومما يقوي رواية عمارة ما أورده ابن المجاور من أن الفرس هم الذين بنو الجامع، وهذا يزيد من قوة رواية عمارة إذ المعروف أن الأبناء (الفرس) كانوا حكاما لمدينتي صنعاء وعدن أثناء ظهور الإسلام واستمروا في الحكم فقد عين النبي صلى الله عليه وسلم باذان حاكما على صنعاء، وفي هذه الحالة فلابد أن تكون عدن تابعة لهم وذلك بسبب أنها الميناء، ولقد استمر الفرس ضمن المجتمع اليمني واندمجوا مع أهلها المسلمين فكان لابد من أن يكون لهم جامع، فقد تبرع باذان ببستانه لبناء مسجد في صنعاء فلا بد لهم من مسجد في عدن ومن ثم فإن الروايتين قريبتان من بعضهما وكل رواية تسند الأخرى وتقويه في أن جامع عدن يعود في تاريخه إلى القرن الأول الهجري.

- أما موضوع المنارة وتاريخها فإن بني أمية قد بنو منارات لمساجدهم الجامعة في كل الأقطار الإسلامية منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، وبما أن جامع صنعاء قد شيدت له مئذنتان منذ العصر الأموي أو بداية العباسي فلا بد لأن يكون لجامع عدن منارة ، وهو ما جرت عليه عادة بناء المآذن.

- وبما أن نمطها المعماري يعود إلى القرن السادس الهجري ، فإن ذلك مرده إلى أن المنارات أكثر عناصر المسجد عرضة للاندثار بسبب عوامل التعرية وبسبب علو ارتفاعها إضافة إلى الرطوبة التي تميزت بها منطقة عدن .

2.7- **من خلال الحفريات :**

- أنه في عام 1963م تمت حفريات لمد أنابيب المياه في شارع محمد علي لقمان سابقا شارع البريد حاليا وعثر أثناء تلك الحفريات على بعض آثار جدران قديمة لعلها أسس الجامع أو بقايا بعض أروقته وعلى أربعة تيجان أعمدة زينت بزخارف إسلامية ربما تعود إلى العصر الأموي أو بداية العصر العباسي، وهي مشيدة من المواد بنيت منها المنارة وتدل زخرفتها على أنها بقايا أثر إسلامي كان قائماً على مقربة من هذا الميدان، ربما يكون جامع عدن .

- وفي سنة 1999م أجريت حفرية أخرى لمد خطوط الهاتف ، وأثناء تلك الحفرية وعلى عمق خمسة أقدام عثر على بعض الكسر الفخارية وبعض الأحجار المهندمة ، ومن خلال

دراستها الأولية اتضح أنها تعود إلى القرن الثاني عشر لميلادي [41]، كما عثر على بعض شواهد قبور حول مبنى المنارة ،مما يدل على أن المبنى المجاور له هو المسجد الجامع و دفن بعض الناس إلى جواره [42].

- وفي الصورة التي رسمها الضابط البرتغالي إبان الغزو سنة 1513م ترى مدينة عدن كما كانت عليها في تلك الحقبة ، وفي المكان نفسه تقف المنارة (وهي نفس موقعها الحالي) وبجوارها المسجد [43]، وقد ظهرت في الصورة ثلاثة مواضع احدها جامع المنارة وهو الواقع إلى أقصى اليمين ويظهر أن الجوامع الثلاثة كانت سليمة صالحة لم تمسها يد الأضرار اللاحقة بالمدينة من جراء الغزو الاستعماري والظواهر الطبيعية، على الرغم من لمسات الخيال لجبال عدن فالمسجد الواقع في أقصى اليمين تبدو أروقته على شكل قلاع مخروطية الشكل أما جامع المنارة فيبدو وكأنه مسور ويقع في موضعه نفسه.. فالجامع كان قائماً على حافة البحر عند احتلال المستعمرين البريطاني لمدينة عدن.

الهوامش :

1. محمد ، محمد أحمد ، عدن من قبيل الإسلام وحتى نهاية الدولة العباسية ، دار جامعة عدن للنشر، عدن 2001م ص 45
2. شهاب ، حسن صالح ، عدن فرضة اليمن ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء 1990م ص 17 - 20 ، مكاوي ، هيفاء عبد القادر ، التحصينات العسكرية لمدينة عدن في العصر الإسلامي ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن سنة 2007م ص 5 - 7
3. الجلالين تفسير سورة التوبة آية 72
4. الكتاب المقدس عن محيريز ، عبد الله أحمد ، الأعمال الكاملة ، العقبة صهاريج عدن صيرة مطبوعات وزارة القفافة اليمنية صنعاء 2004م ص 27
5. كتاب الطواف البحر الإريتري عن محيريز ، المرجع السابق ، ص 28
6. محيريز ، المرجع السابق ص 29 - 33
7. محيريز ، المرجع السابق ص 42
8. با مخرمه ، جمال الدين عبد الله الطيب بن عبد الله ، النسبة إلى المواضع والبلدان ، مركز البحوث أبو ظبي ، 2004م ج 1 ص 416
9. الطبري ، محمد بن جرير ت 310هـ تاريخ الأمم والملوك ، بيروت 1987م ج 2 ص 257
10. ابن المجاور ، جمال الدين يوسف بن يعقوب بن أحمد ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، عني بتصحيحها لوفرين منشورات المدينة صنعاء 1986م ص 110
11. الهمداني ، أبي محمد الحسن بن يعقوب، الإكليل ج 8 تحقيق، محمد بن علي الأكوع ، القاهرة ، 1966م ص 24
12. Gavain, Aden under British Rule 1839 1967 p 48 نقلا عن شهاب المرجع السابق ص 24 ،25
13. شهاب ، المرجع السابق ، 25
14. ابن المجاور المصدر السابق ص 46
15. المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 85
16. يعقوب ، هارلدوف ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة، أحمد المضواحي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ودار العودة بيروت ، 1983 م ص 360
17. با مخرمه ، المصدر السابق ص ، 52
18. يعقوب ، المصدر السابق ، ص 359
19. رابضة ، أحمد صالح ، معالم عدن التاريخية ، مركز الدراست والبحوث المين ، والمركز الفرنسي ، صنعاء 1999م ص 46 ، با طويل، رجاء، أعمال المسح الأثري في محافظة عدن، مجلة حوليات الآثار اليمنية العدد الأول س 2008م ص 59

20 ـ لقمان ، حمزة علي ابراهيم ، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار جامعةعدن للطباعة ص 241 نقلا عن كتاب تقرير عن مستعمرة عدن للكابتن هنز

21 ـ عمارة ، نجم الدين عمارة اليمني ت 569 هـ ، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع ،المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، ط 3 1985 ص 67 والحبيشي ، وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد ت 782هـ ، تاريخ وصاب ، تحقيق عبد الله الحبشي ، مركز الدراسات اليمانية صنعا 1970م ص 27ـ 28

22 ـ عمارة ، المصدر السابق ص 67 ـ 69

23 ـ بن المجاور ، المصدر السابق ص 46

24 ـ ابن المجاور المصدر السابق ص 46

25 ـ الجندي ، أبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع ج 2 بيروت 1989م ص 505

26 ـ يعقوب ، المرجع السابق ، ص 360 نقلا عن أبي الفداء

27 ـ لقمان ، المرجع السابق ص 241

28 ـ ابن الديبع ، عبد الرحمن بت علي ، الفضل المزيد على بغية المستفيد ، تحقيق ، يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء1983م ص 372

29ـ لقمان ، المرجع السابق ص242

30 ـ لقمان ، المرجع السابق ص 243، تقرير عن أوضاع الأثار الإسلامية في اليمن الديمقراطي سابق ص 397

31 ـ لقمان ، المرجع السابق ص 243، تقرير عن أوضاع الأثار الإسلامية في اليمن الديمقراطي سابق ص 397

32 ـ عمارة ، المصدر السابق ، ص 67

33 ـ الجندي ، المصدر السابق ص 505

34 ـ لقمان ، المرجع السابق ص 241

35 ـ ابن الديبع ، المصدر السابق ص 110 ، شهاب ، المرجع السابق ، 167

36 ـ شيرنسكي ، ، أضواء على الآثار اليمنية عدن ص 17،

37 ـ روزاريو باوني ، تقرير أولي عن أوضاع منارة عدن ، ترجمة احمد شمسان ، ص 261

38 ـ سيرنشكي ، سيرجي ، أضواء على الآثار اليمنية عدن ص 17 ،، رابضة ، المرجع السابق ص 51 ، با طويل المرجع السابق ص 60

39 ـ رابضة ، المرجع السابق ص 52، وباطويل ، المرجع السابق ص 60

40 ـ سلمان ، عيسى ، هناء عبد الخالق ، نجله العزي، نجاة يونس ، ، العمارات العربية الإسلامية في العرق ج 1 بغدد 1982م ، ص 148

41 ـ باطويل ، المرجع السابق ، ص 59

42 ـ لقمان ، المرجع السابق ص 243

43 ـ لقمان ، المرجع السابق ص 243 ، تقرير عن أوضاع الآثار الإسلامية في جمهورية اليمن الديمقراطية سابقا ، ألآثار الإسلامية في الوطن العربي المؤتمر التاسع للآثار 1985م ص 398

8- الأشكال واللوحات :

شكل رقم 1 يوضح موقع مدينة عدن

شكل رقم 2 يوضح موقع منارة عدن

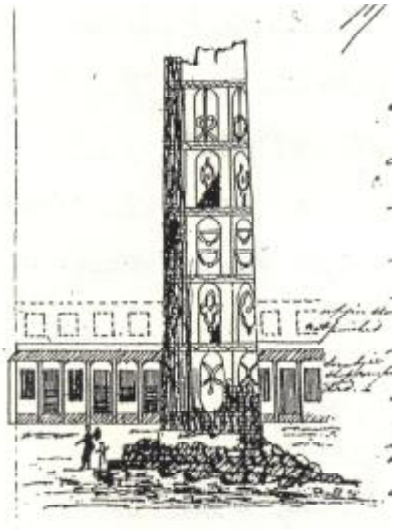

لوحة رقم 1 توضح منارة عدن سنة 1513م عن الضابط البرتغالي

لوحة رقم 2 توضح موقع الفنار في مدينة عدن

لوحة رقم 3 توضح مدينة عدن ويظهر عليها جامع عدن ومنارته نقلا هار لدوف يعقوب

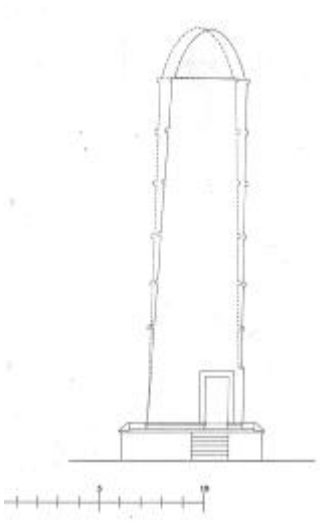

شكل رقم 3 مسقط رأسي لمنارة عدن ويتضح فيه الميل الحاصل لها

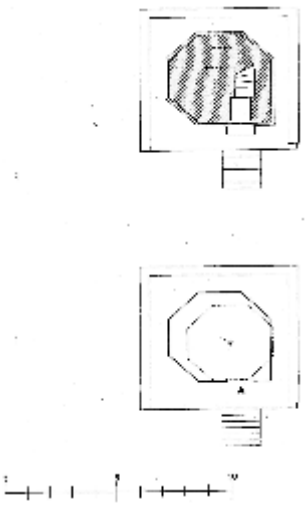

شكل رقم 4 يوضح قاعدة المنارة المثمنة

لوحة رقم 4 توضح مئذن سنجار بشمال العراق عن العمارات

لوحة رقم 5 توضح قاعدة المنارة المربعة

لوحة رقم 6توضح بدن منارة عدن بتقسيماته

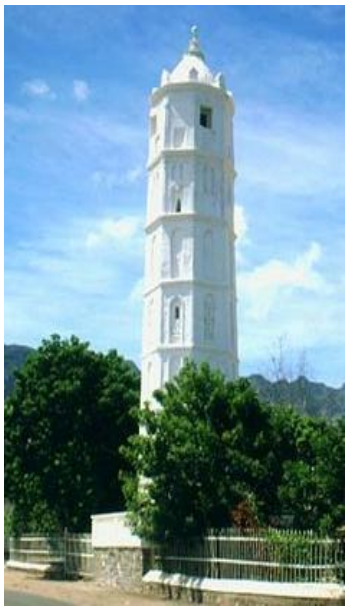

لوحة رقم 7 يتضح فيه طاقية المنارة وميلها المعدني